

ليأتين ويدهنه

ذكر كل من القديسين مرقس ولوقا في بشارتيهما قصة شراء وإعداد المريمات للحنوط من أجل تكفين السيد المسيح. "وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه" (مر ١٦: ١)، "فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً وفي السبت استرحن حسب الوصية. ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتتا إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددهن ومعهن أناس" (لو ٢٣: ٥٦، ١: ٢٤). أما يوحنا فلم يذكر شيئاً عن حنوط المريمات وإنما أوضح بتدقيق شديد: "وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مناً. فأخذ جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنون" (يو ١٩: ٣٩-٤٠).

لقد كان الغرض من تكفين اليهود لموتاهم بإستخدام الأطياب والحنوط هو محاولة وهمية لتخليد الجسد، وإنكار حقيقة فساده فور موته؛ تلك الحقيقة المعلنة بواسطة رائحة النتانة التي كانت لابد وأن تفوح منه عما قريب. من هنا نستطيع أن نفهم أن يوسف الرامي ونيقوديموس والمريمات لما تقدموا إلى جسد السيد المسيح تقدموا نحوه على أنه لابد واقع تحت الفساد. لم يتعاملوا معه كحي بل كميت يحتاج لمن يستتر فساده ونتاجته بأطياب من صنع البشر، حتى أن نيقوديموس بالغ جداً في ذلك بأن جاء بمئة من مر وعود وهي كمية كبيرة جداً تكفي لتطيب مئات الأجساد!! لقد كان كمن يريد من فرط حبه للسيد المسيح أن يبقى على جسده بلا فساد أو نتانة لأطول فترة ممكنة متصوراً أنه كلما كثرت كمية الأطياب والحنوط كلما استطاع أن يحفظ جسد السيد المسيح من العطب!

لكن يبدو أن نيقوديموس لم يكن قد تعلم الدرس بعد. ويبدو أن توبيخ السيد المسيح له: "أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا!" (يو ٣: ١٠) لم يكن عبثاً. فكما كان من العسير عليه جداً أن يفهم كيف يولد الإنسان من الروح كان من الأكثر عسراً أن يفهم أنه: "لم يكن ممكناً أن يُمسك (أي السيد المسيح) منه (أي من الموت)". (أع ٢٤: ٢٤).

أما حنوط المريمات فيذكرنا بجرة المرأة السامرية. لقد تصورت المرأة السامرية أن جرتها ممكن أن تروي عطش السيد المسيح. إنه نفس موقف المريمات اللائي تصورن أن حنوطهن يمكن أن يحجب الفساد والنتانة عن جسده. لقد تعاملن معه جميعهن لا كمسيا يهب ماء الحياة الأبدية، ولا كالإله: "الذي وحده له عدم الموت" (١ تي ٦: ١٦). ولكن ها هن المريمات يتركن حنوطهن في القبر كما تركت السامرية

الجرة عند البئر لىبقى الحنوط والجرة المتروكين علامة واضحة على تقبلهن استعلان حقيقة السيد المسيح وقبولهن له كإله حي في حياتهن.

وموقف يوسف الرامي، ونيقوديموس، والمريمات، والسامرية هو موقف الإنسان المعاصر الذي في بؤسه يتخذ الله له كإله ميت يسوده الموت وليس كإله حي يهب حياة. أي بؤس أعظم من أن يسقط الإنسان فسادَه على عديم الفساد ويرى مرضه في طبيبه الحقيقي مصدر شفاؤه؟! وأية شقاوة أعظم من أن ينزع الإنسان عن الإله الحقيقي كل مجده ليغتصبه لذاته فيتأله هو؟ وأية حماقة أعظم من أن يرى الميت في الحي ميتاً؟

ما أحوج الإنسان اليوم، ذاك الرازح تحت ثقل الذات والعالم والشيطان، أن يتلامس مع حقيقة القيامة. فالقيامة وحدها هي القادرة أن تجعل الله حقيقة حية في أذهان وقلوب وحياة البشر. إنها وحدها التي تجعل علاقة الإنسان بالله علاقة ديناميكية فعالة تشهد على إله حي لأولاده حاضر لهم وفيهم كل حين: "إني أنا حي فأنتم ستحيون" (يو ١٤: ١٩). إن قيامة السيد المسيح هي أكبر برهان واستعلان لألوهيته وعدم فسادِه. وكل من يؤمن بهذه القيامة فلا بد لا محالة أن يترك حنوطه عند القبر وجرتَه عند البئر ليصرخ بفرح: "ربي وإلهي!"